**قسم التاريخ و الآثار**

**مقياس منهجية البحث التاريخي**

**السنة الأولى ماستر تخصص : المغرب العربي المعاصر**

1. **د : سفيان لوصيف**

**التاريخ بين الكتابة والتدريس**

التاريخ هو ذلك العلم الذي يحيط إحاطة شاملة بحياة الإنسان في كل أبعادها الزمنية والمكانية، يتغذى بالأهواء ويرفض الحياد على الإطلاق ويرفض أن يكون مجرد سرد لأحداث وقعت، وقد حاول مالك بن نبي أن يفهم الثقافة في إطار التاريخ فوجد ذلك في نطاق علاقة الثقافة بالمجتمع مع ربط مفهوم الثقافة بالتاريخ، لذلك لا يمكن' أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه '، ومنه لا شك في أن التاريخ هو أكبر عامل لتحقيق الروح الوطنية حتى يصبح القول بأن الوطن هو تاريخ الوطن.

من الضروري أن نسأل ماذا كتب عن تاريخ الجزائر من طرف الأقلام الجزائرية ؟ لأن هناك حديثا يدور حول المدرسة الجزائرية للتاريخ، في فترة المرحوم بومدين تركزت الكتابات بالدرجة الأولى على الحركة الوطنية، والمؤرخ الجزائري كان يتحاشى الكتابة عن الثورة التحريرية، حتى وإن تمت مناقشة الأطروحات في هذا المجال، الفرق بيننا وبين الأوروبيين وبالأخص الفرنسيين في كتابة مذكراتهم فلأنهم يحسنون استخدام القلم أما المجاهدون عندنا فكان أغلبهم أميون، ومن كان يبحث عن الثورة الجزائرية كان يتجه بالضرورة نحو المراجع الفرنسية، وفي طليعة هذه المراجع نجد المؤرخ ' إيف كوريير ' هذه المرحلة كانت الكتابات فيها شبه منعدمة وحتى وإن وجدت فيها الكتب عن الثورة فقد كانت مبهمة، ونستشهد هنا بالأستاذ محفوظ قداش وهو يروي أن الرئيس بومدين عاب عليه ذكر الأسماء في لقاء مع المثقفين وقال لا يجب ذكر الأسماء.

ينبغي علينا في هذه المراجعة أن لا نستثني حقبة من حقب تاريخنا الحديث ولا نمحوها جميعا، حتى لا يجعل أحد من تاريخ حكمه بداية تاريخ الأمة، كما ينبغي علينا أن لا نستأصل طرفا أو نغبنه أو نتجاهله فليس هدف المراجعة التجريح أو التدمير، وإنما الكشف عن عوامل التطور والوحدة والتلاحم الفكري وإبرازها وتعميقها وتوسيعها، لكن التاريخ تحمله أسماء ما نسميه بالفاعلين التاريخيين فالشعب في حاجة إلى من يقوده ويوجهه، ذلك هو تصور بومدين الذي كان يعقوبيا، لكن الثورة لها رجالها ومفكروها ومنظروها وأنه لم يكن خوض غمار الصراع حول من قام وبماذا، وأن الجزائر في تلك المرحلة كانت في حاجة إلى من يلم شتاتها ويحافظ على وحدتها، بحاجة لبناء دولة تقوم على بناء الذاكرة والتأسيس للدراسات التاريخية

يكون المؤرخ غير صادق إذا كتب بعاطفة شخصية عن قضية تاريخية حساسة قريبة العهد من الجيل المعاصر له فهو قبل كل شيء متهم لأنه يكتب عن جيله، والقدماء يقولون إن المعاصرة حجاب فأنت لا ترى المسألة مهما كانت مقدسة من جميع الزوايا إذا كانت معاصرة، لأن وثائقها غير متوفرة لديه، لذلك على المؤرخ الحق أن يبتعد عن القضايا المعاصرة أو القريبة من زمنه لأنه لا يكاد يكون محايدا حتى ولو أراد ذلك.

كان تجديد التاريخ تربويا وأكاديميا ورسميا ضرورة ملحة لتطوير الذهنية وفتح آفاق حقيقية لتغيير الواقع نحو الأفضل، الواقع أن تزييف التاريخ هو ضعف وانهزام ضعف من الذين لم يستطيعوا أن يدخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، فهم يحاولون أن يدخلوا من نافذته أو من بابه الخلفي وانهزام أمام الذين صنعوا التاريخ، ومن سوء الحظ أن التزييف يعمل عمله في طمس الكثير من الحقائق، وأنه يجني على التاريخ فلا يظهر مستقيما أو سجلا ناصعا لمنطق الحياة كما سارت وكما تفرضه حتمية التاريخ أن تسير، لكن من حسن الحظ أن هناك من ارتقى حسهم يترفع عن التزييف والتشويه لأنهم قاموا بدورهم ونسبوا التاريخ إلى أبطاله، الذين أعطوا الحياة لمرحلة جديدة من تاريخ بلادهم، فهم الذين حولوا مجرى التاريخ ليسير وفق الخطة التي وضعوها وهم الذين عبأوا فكرهم وقلبهم وجسمهم ليصنعوا وطنا ويخلقوا فترة من التاريخ.

فهؤلاء هم من يجب أن يكتبوا تاريخ ما صنعوا فهم أكثر دراية به وهم أكثر معرفة بخباياه، وحديثهم مأخذ صدق كلما قرأ قارئ ما كتبوا، وهم يوضعون في الحقيقة أمام واجب فكري ووطني خاصة حينما يرون بداية التزييف على عهدهم، ويرون الإساءة إلى ما صنعت أيديهم وأن الأجيال تكاد تنسى والأجيال الصاعدة لا تكاد تعرف، هنا يفرض عليهم الواجب أن يكتبوا التاريخ حتى لا يضيع في غمرة النسيان، هذه المسألة امتداد للمسألة الأولى وتكملة لبعض جوانبها لما فيها من تأكيد على هيمنة التاريخ على العقل الجزائري، ويكفي أن نلقي مجرد نظرة على الكتابات والنصوص منذ الاستقلال لنلاحظ عمق الاهتمام بالتاريخ، والحرص على تتبع تطور التاريخ الجزائري وتتولد عن هذه مسائل نظرية كثيرة نذكر منها:

- البحث في قضايا الشرعية التاريخية والسياسية.

- الاستمرارية والقطيعة في النسق السياسي والتاريخي الجزائري.

- الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، الهوية الوطنية التاريخية والسياسية

كان على المؤرخ أن يقبل الانتقاد في جميع المجالات وأن ينجز دراسة شجاعة موضوعية وبناءة، من ثم هذه الدراسات هي التي تؤسس بعد ذلك للكتاب المدرسي، ذلك أنه لا يمكننا أن نطلب من الكتاب المدرسي أن يقدم معلومات موضوعية، فإذا كان الباحث غير موضوعي لا يمكننا أن نطلب من المقرارات المدرسية أن تقدم صورة شاملة للثورة إذا كانت هذه الصورة إما مشوهة أو جزئية عند الباحثين، الباحث هو في الحقيقة الذي يملي بكتاباته هو الذي يرشد في الحقيقة ويحدد المحاور العامة للمكلفين بإنتاج الكتاب المدرسي، لأن التربية التاريخية هي التربية الوطنية تتم على مستوى النشء الصاعد.

يعتبر التاريخ المدرسي مادة أساسية في التكوين الفكري والمعرفي للمتعلم، وذلك بتنمية ذكائه الاجتماعي وحسه النقدي وتزويده الأدوات المعرفية والمنهجية لإدراك أهمية الماضي في فهم الحاضر والتطلع إلى المستقبل، كما أنه يساهم في التكوين الفكري للإنسان بتنمية الحس النقدي بالنسبة للأحداث الاجتماعية وتكوين العقل لتحليل الوضعيات، يساهم التاريخ في التكوين الشخصي للإنسان بتلقينه ذاكرة جماعية تتسع من المجموعة المحلية إلى الأمة ثم إلى الكون، كما يمده بالمعالم الأساسية لفهم العالم والتنظيم المعقلن للماضي والحاضر.

يمثل التاريخ القناة الأساسية التي من خلالها تتم عملية بناء نظرة المتعلم إلى ذاته وماضيه ومن ثم حاضره ومستقبله، لذا فهذه المادة بمضامينها تجعل المتعلم يتعرف على هويته من خلال المساهمة في استمراريتها، هدف التاريخ الأول الإسهام في خلق الروح الوطنية وتدعيمها، وإشاعة حب الوطن ببيان ظروف ولادته وتطوره وبيان الصعوبات التي واجهها في الدفاع عن كيانه واستقلاله والتعريف بمراحل مقاومته، فمن خلال التاريخ يقرأ تاريخ أمته فيعتز بأيام قوتها ونشاطها ويأسى لأيام ضعفها وخمودها، ذلك أن تاريخ الأمة يمس الوجدان أكثر مما يمس العقل.

لتأطير التوجه الهادف إلى جعل مادة التاريخ ذات وظيفة وفاعلية في المجتمع، تتضمن المناهج مفاهيم تمكن المتعلم من قيم الهوية وقيم المواطنة التي تعد مادة التاريخ حاملة لها، فالتفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته والتعامل الإيجابي مع الثقافة الشعبية والتراث الثقافي الجزائري، واعتماد الفكر النقدي والوعي بالزمن كقيمة في المدرسة والحياة، ينتج كفاءات ثقافية ومنهجية وتواصلية يساهم التاريخ كمادة في اكتسابها، فالمدرسة بحكم وظيفتها هي إحدى القنوات التي يتعين عليها أن تساهم في تنشئة وتأهيل الجيل الصاعد لرفع التحديات التي تواجه الدولة، وأرقى تجليات تلك المساهمة نهوضها بقيم المواطنة عبر مسار يؤدي إلى تكوين يربطهم بالوطن، ذلك الانتماء الذي يجعلهم في ذات الوقت يخدمونه بحب وسخاء.

برزت كتابات قيمة تنادي بإعادة كتابة تاريخ الجزائر بمناهج ورؤى جديدة، تعمل على دحض مجمل الكتابات الكولونيالية اللاموضوعية، والتي احتكرت كتابة تاريخ الجزائر لمدة طويلة، كان الهدف الأساسي منها تركيز سيطرة المستعمر وإضفاء صفة الشرعية على عمله الدبلوماسي والعسكري، ومع فجر الاستقلال بدأ الباحثون يدعون إلى كتابة تاريخ وطني:

ـ تاريخ يحاول إزالة الاستعمار عن تصور ماضي الجزائر بإبراز عيوب هذا النوع من الكتابة.

- تاريخ يحاول أصحابه إقناع أنفسهم بإمكانية كتابة تظهر شخصية الجزائر وتبرز مزاياه.

اعتمد هذا التيار طرقا مختلفة لإظهار عيوب الكتابة الاستعمارية وإبراز الحاجة إلى إعادة صياغة تاريخ وطني، ولكن أصحاب هذا الاتجاه مقتنعون بأن كتابة تاريخ الجزائر لن يتأتى إلا عن طريق البحث، حيث أن أحسن طريقة لجمع الوثائق والاستفادة من النصوص هي تحديد مواضيع الأبحاث في مجالات زمنية أو مكانية ضيقة حتى يتسنى تعميق البحث، على أن يكون هذا العمل عملا مرحليا يتمم فيما بعد عندما تكون مناطق البلاد قد تمت تغطيتها، وكل الفترات التاريخية قد شملها هذا البحث فتكون تلك الأعمال خلاصة الأبحاث الأولية

واجهت هؤلاء الباحثين صعوبات جمة ذلك أن عملية تحقيق التراث لا ينبغي أن تنفصل عن المشكل العام للبحث التاريخي، الذي يعاني في الدرجة الأولى من ضعف وسائل وتقنيات البحث العميق، إذ كان استغلال المصادر المكتوبة ليس سهل المنال وهذه الوضعية ستستمر مدة أخرى، ما دامت برامج التاريخ لا تضم أي درس منهجي يعطي للطلاب مبادئ أولية لإدماج المصادر غير المكتوبة في حقل اهتماماتهم المستقبلية، أصبحت دراسة الماضي تقوم على رؤية متعددة المقاربات فبدل النظر إلى الوقائع التاريخية المدروسة من وجهة نظر أحادية، أصبح لزاما على المؤرخ استحضار كل العناصر والتي لها دور في بناء الوقائع التاريخية، فالظاهرة التاريخية تبنى لبنة لبنة، فكل بعد من أبعاد الواقع الاجتماعي يتواصل مع باقي الأبعاد الأخرى، لصناعة حركة التاريخ ودراسة التاريخ لا تنحصر فقط في معرفة الماضي، وإنما أن تسهم في فهم الحاضر بكل تعقيداته ومشاكله واستشراف مستقبل أفضل.

أهم ميزة يتميز بها هذا الاتجاه استغراقه في التاريخ السياسي والعسكري، وعنايته الفائقة بدراسة الأحداث من منظور متفرد ومعزول، كل هذا في مسار زمني ضيق وقصير وهو زمن الحدث أما طريقته فـي عرض الوقائع فإنه يتم توظيف أسلوب الرواية والسرد، دون تمحيص ولا تدقيق معتمدين في ذلك على ما توفر لديهم من وثائق مكتوبة، تحـول اهتمام المؤرخين من دراسة الخاص إلى دراسة العام ومن الجزء إلى الكل، ومن الاهتمام بالفرد إلى الانكباب على دراسة المجتمع بكل فئاته ومكوناته الاجتماعية.

كتابة التاريخ هي عملية متجددة ومستمرة تتجدد بتجدد الهموم والمشكلات في الحاضر، فالإنسان لا يعيش حاضره مفصولا عن ماضيه، ولا يفكر في تاريخه باعتباره زمن غابر تملأه الأحداث والوقائع بل بوصفه صيرورة في الزمن، فتفسير الماضي وتأويله وتكوين معنى عنه شكل دوما هاجسا، هذه الخلفية الفلسفية التي تحكم وتوجه نظرة الإنسان إلى التاريخ، وعلاقة ماضيه بحاضره هي التي نجد لها صدا في منهجية التفكير التاريخي عند المؤرخين المجددين، فعمل المؤرخ اليوم يتراوح بين ثنائية تشمل كل من الحاضر الذي يكتب فيه التاريخ وبين الماضي الذي يعتبر موضوع دراسته، تدريس هذه المادة وإيلائها مكانة متميزة وبخاصة التاريخ الوطني ليس من أجل فاعليته التربوية في تنشئة المتعلمين بل من أجل رفع شأنه أيضا، إذ أصبحت قيمة التاريخ مهزوزة في نفوس الكثير لغيابهم عنه ولأفاعيل المستعمر بأمتهم، حيث تعرض الشعب لفعل من المسخ الفظيع والجهل المخيف هوة فصلته عن شخصيته وحجبته عن أصالته.

من هذا المنطلق يتجلى دور التاريخ عامة والوطني خاصة في تثمين التربية على المواطنة التي لن تؤدي مهمتها إن اعتبرت مادة في حد ذاتها بل أن مبادئها الأساسية تتم مقاربتها من التاريخ ومن مواد أخرى، ناهيك عن الخبرات الشخصية والأحداث اليومية عبر أنشطة في المدرسة وخارجها، وإذا كانت التربية على المواطنة تتلخص في مجهود المدرسة لتكوين الإنسان المواطن الواعي لحقوقه وواجباته تجاه ذاته وتجاه الجماعة، فإنها تستمد وظيفتها المجتمعية من مساهمتها في تكوين المواطن المراهن عليه في السير بالمجهود التحدثي للبلاد، وتقوية ركائز دولة القانون وتفعيل المفهوم الجديد للسلطة وتوسيع مجال الحريات ومشاركة المجتمع

أعطيت للتاريخ مكانة هامة في البرامج التعليمية فكان من أول المواد المعربة، حتى يتناسب مع البيئة الجغرافية والبشرية والمحيط الاجتماعي، بعدما كان يدرس بلغة أجنبية تاريخا فرنسيا تم تحوير برامجه وأهدافه، أعيد النظر في البرامج الفرنسية التي تنكر المجتمع الجزائري في كامل مراحل التعليم، وأوليت العناية في تدريسه منذ المرحلة الابتدائية وأدرج في السنتين الخامسة والسادسة، وحددت أهدافه في المادة 25 من المرسوم التشريعي الخاص بالمدرسة الأساسية، توفر المدرسة الأساسية للتلاميذ أسس العلوم الاجتماعية والعلوم التاريخية فهو يرمي إلى:

- تربية الجيل الصاعد تربية سياسية واجتماعية تمكنه من الاعتزاز بشعبه وأمجاده.

- تربية التلميذ على احترام الماضي وحثه على البحث عن تاريخ الجزائر.

- تزويده بثقافة تاريخية بتدريبه على المصادر وتحليل الظواهر التاريخية

كانت الميزة المشتركة في البرنامج المقرر للسنتين الخامسة والسادسة هي الجزائر موضوعا، فالسنة الخامسة اختصت في الثورة التحريرية أما السنة السادسة فبرنامجها تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر يبرز القمع الاستعماري والمقاومة الوطنية، أما في الطور المتوسط فبرامج التاريخ تتجاوز القطر الجغرافي المحلي، بهدف تزويد التلميذ بثقافة تاريخية تمكنه من التعرف على مراحل التطور التاريخي، وذلك من خلال إبراز القيم الحضارية وتفاعل الإنسان الجزائري منذ القديم مع محيطه، وفي خضم ذلك إبراز المقومات الثقافية والحضارية للشعب الجزائري والتعرف على رموزه وأبطاله ومقوماته منذ العصور الغابرة.

ويمكن تتبع ذلك من خلال بعض البرامج لهذا المستوى، فالكتاب المدرسي للسنة الأولى متوسط يحمل عنوان ' تاريخ الحضارات القديمة ' أدرجت فيه الشخصية الجزائرية منذ القديم التي تمتد في جذورها إلى ما قبل الإسلام متأثرة ومؤثرة في المحيط الجغرافي والمجال الفكري، الذي سادت فيه الحضارات القديمة في الشرق الأدنى وإفريقيا والبحر المتوسط وتفاعلت معها، موضحا حضارة بلاد المغرب الممتزجة بين المجتمع الأمازيغي والحضارة القرطاجية والممالك الأمازيغية، والتركيز على الجزائر الحالية وتثمين دور ملوكها ' ماسينسا، سيفاكس، يوغرطة'

خصصت برامج السنتين الثانية والثالثة للفترة الإسلامية من الفتوحات الإسلامية حتى القرن 16، عرفت بالمغرب الأوسط الذي قامت به الدول إسلامية أسستها قبائل وأسر بربرية حكمت في ظل الإسلام، واشتهر فيها ملوك حكموا مثل عبد المؤمن بن علي، حماد بن بلكين، يغمراسن، الذين سادوا مجتمعا حتى وإن تفرق في إمارته وممالكه فإن الإسلام قد صهر هذه المنطقة التي تفاعلت مع المشرق مكونتين حضارة إسلامية، ويواصل كتاب الرابعة متوسط تتبع المسار التاريخي للوطن الجزائري ويبدأ من القرن 16 وبداية حكم العثمانيين في الجزائر، وتزامن وجودهم في وضع أركان دولة مركزية الحكم، اتخذت عاصمة وحدودا مرسومة وسيادة معترف بها، ونظرا لهذه المكانة والموقع الهام الذي تحتله كانت محل أطماع أوربا المسيحية

ما يعاب على برنامج هذا المستوى أن التوقيت الزمني غير كافي لتغطية هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الجزائر، لاسيما أن أهداف تدريس التاريخ في مرحلة التعليم المتوسط تزويد التلميذ بأكبر قدر ممكن من المعارف العلمية حول التاريخ الوطني، الذي ظل في هذه المرحلة يتراوح ما بين الساعة والساعتين في الأسبوع، تتضح أهمية التاريخ في التعليم الثانوي توقيتا وبرنامجا فقد وضعت له أهداف وتوجيهات تربوية نوجزها في:

- إذكاء الشعور الوطني وتجسيد وحدة المجتمع وتلاحمه عبر مراحل التاريخ.

- ترسيخ المقومات الثابتة للشخصية الجزائرية.

- تعميق الوعي السياسي الوطني والبعد الثوري والتحرري.

- كشف نوايا الاستعمار وأساليبه في الهيمنة والاستغلال.

هذه الأهداف يحللها الكتاب المدرسي كوسيلة وأداة تدخل في صلب العملية التربوية، وتحتل مرتبة هامة في سلم الاهتمامات التربوية، وتكشف مضامينه عن المعرفة والقيم السائدة كأهداف، نعطي مثالا عن كتاب السنة الثانية ثانوي تحت عنوان ' تاريخ العرب الحديث 'يهدف إلى إضفاء الطابع العربي على الشخصية الجزائرية، وتحديد القواسم المشتركة من لغة ودين وتاريخ، تكرس الانتماء إلى حضارة تضرب جذورها في أعماق التاريخ القديم، فرغم الانقسام إلى دويلات إلا أن المصير واحد ومشترك حسب ما يخلص إليه الكتاب.

انتقد محمد غالم مضمون محتواه في تهميش التاريخ الوطني الذي لم يخصص له سوى 22 صفحة من أصل 268 صفحة، وهي غير كافية لتكريس الوعي الوطني لدى التلميذ، فأعطيت قراءة مشرقية لتاريخ الجزائر وربطها ببوادر النهضة الجزائرية، في ذلك ربط ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالإصلاح الذي عرفه المشرق، وتسوية تجربة محمد علي في مصر بكفاح الأمير عبد القادر في الجزائر، يتساءل محمد غالم عن دوافع ربط التاريخ المغاربي عبر العصور بعجلة التاريخ المشرقي وجعله خاضعا له، مما يؤثر في نفسية التلميذ ويشوش مسألة الهوية والانتماء عنده، يقول رضوان عيناد: « إنه إذا عدنا إلى صورة اختيار الشجرة، التلميذ الجزائري يجد رجليه في جرجرة وجذوره في وادي الرافدين، والقلب في الشرق الأوسط لكن أين رأسه ؟ ».

هذا لا يثير إشكالية عند التلميذ في استيعاب ماهية التاريخ الوطني في أساسياته، وما هو مكمل له يمثل أبعاد الشخصية الجزائرية في دينها وعرقها ولغتها، فحسب استبيان أجري من قبل مفتش التربية حول موقف التلميذ من مادة التاريخ في عمل ميداني داخل المؤسسات التربوية، ومن جملة الأسئلة المطروحة ورد سؤال رتب الدروس حسب أهميتها في نظرك العالم الأوربي، العالم الإسلامي، الثورة الفرنسية، الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد توصل الاستبيان إلى أن 62 % يحبذون دروس العالم العربي الإسلامي ويقترحون إضافة الدروس ومواضيع متعلقة به مع الاستمرار في العناية بالتاريخ الوطني، وقد توصل هذا المفتش إلى أن التلميذ يحكم بموضوعية ويعبر عن حاجته ويشعر بالاعتزاز والفخر بتاريخه.

أدرج التاريخ الوطني المعاصر في كتاب السنة النهائية الذي يحمل عنوان التاريخ المعاصر، تحتوي محاوره على القضايا الدولية التي نالت الحصة الكبرى 43 % من البرنامج، يليها تاريخ الجزائر 19 %، محور حركات التحرر في العالم 13 %، هناك تطابق بين توجهات سياسة الدولة الخارجية والمحتويات التعليمية في الكتاب، محور تاريخ الجزائر يضم عدة دروس تناولت أوضاع الجزائر أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، جبهة التحرير الوطني والثورة، مفاوضات إيفيان وتحليل الاتفاقيات، دور الجزائر في الوحدة العربية المغاربية والإفريقية

يتناول البرنامج الأحداث الوطنية بنظرة عالمية ثم يغوص في عرضها مركزا على أهم أحداث الحركة الوطنية الجزائرية، لم تغب عن هذه الفترة النظرة الذاتية في التناول حيث وجهها النظام الحاكم لتبرير شرعية الحكم واستمد منها حكمه، وهو ما أدى في أحيانا كثيرة إلى تعتيم وإنكار الجهود النضالية لرموز وشخصيات ساهمت في صنع الاستقلال، وهذا لمعارضتها نظام الحكم أو الاختلاف حول توجه السياسة العامة للبلاد، ووصل الأمر إلى حد إنكار دور كل من يرفض التغني بإنجازات السلطة، ويتم الاكتفاء بذكر الشخصيات التي استشهدت وحظيت بالبطولة والتمجيد، من حيث التصور القائم على أساس البطولة الراديكالية وإسكات الدور الذي لعبته الشخصيات السياسية واحتوائها في الإطار الذي يبرر شرعية المجموعة التي تحكم.

هذا ما يثير الحديث عن الموضوعية التي هي من الصعب تحقيقها في هذا الإطار، أو على الأقل الوصول إلى أكبر درجة ممكنة منها، فالحقيقة تبقى نسبية والموضوعية طريق يصعب سلكه، الأمر الذي يتطلب أولا تحديد وضبط الأهداف من تدريس التاريخ، فقد طالبت أطراف عدة بإعادة النظر في تدريس التاريخ الوطني في المؤسسات التعليمية والجامعية من حيث المناهج والتناول، بحثا عن النظرة العلمية الدقيقة التي تتصف بالدقة والأمانة والحياد والابتعاد عن الذاتية، فهذه الغاية لا يمكن أن ينهض بها التعليم في أطواره الأولى، بل هي مسؤولية الباحثين والأساتذة في مجال أبحاثهم، وهنا يكون التعليم العالي الميدان الأفضل في إطار العمل الأكاديمي، فكيف كان تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية بعد الاستقلال.

تم تدريسه منذ السنة الجامعية 1962- 1963 بكلية الآداب بجامعة الجزائر، ولغة تدريسه هي الفرنسية كما ورثت عن الاستعمار، وفي سنة 1963 أحدث مقرر دراسي للتاريخ والجغرافيا في معهد الدراسات العليا لتكوين أساتذة التعليم الثانوي، تخرجت أول دفعة معربة سنة 1966 تضم 64 متخرجا ساهمت في تعريب تدريس التاريخ في المرحلة الثانوية، وأنشأ في جامعة الجزائر إلى جانب القسم المفرنس قسم آخر معرب في سنة 1966.

ومع التغير الذي بدأت تعرفه الجامعة تم تحوير البرامج والمناهج وأضيف قسمان آخران في قسنطينة ووهران، أدى إلى تزايد عدد الأساتذة والطلبة سنويا فتضاعف عددهم، وتمكنت هذه الأعداد من تقليص العجز في عدد الأساتذة المدرسين في مختلف المراحل التعليمية منذ بداية السبعينات، لكن التطور الكمي لم يصحبه تطور نوعي لاسيما في الحصيلة الضيئلة من الإنتاج الجامعي المختص في تاريخ الجزائر عبر عصوره، فلم تتجاوز عدد الأبحاث بضع عشرات دون النظر في قيمتها، مما حال دون وجود إنتاج تاريخي قادر على إرساء مدرسة تاريخية جزائرية.

أثرت مناهج التدريس على انخفاض مستوى التحصيل لدى الطلبة عبر عن ذلك عبد القادر جغلول بقوله:« المتخرجون الجامعيون في العلوم الإنسانية مثلا لا يستطيعون رؤية أنفسهم بطريقة عامة في التاريخ الجزائري، يمكن أن نسأل المجازين في التاريخ عن مؤرخي النهضة التاريخية الجزائرية ستكشف أنهم لا يعرفون »**،** رغم تزايد عدد الطلبة إلا أن الحاجة إلى الإطار الجامعي المتخرج بقيت، ولسد العجز سمح للحاملين المستوى النهائي بعد مسابقة تنظم الدخول إلى المعاهد التكنولوجية، التي تتكفل بإقامة نسق كفيل بأن يستجيب للاحتياج الضخم من المدرسين، لكن التجربة أثبتت عدم تجانس طلابها معرفيا وفكريا وحتى نفسيا مع محيط التعليم.

أكثر العوامل تأثيرا هي المدرسين في ضعف مستواهم لاسيما أن أغلبهم من المتعاونين الأجانب الذين أرغموا على تدريس التاريخ أو معلمين ممرنين تم ترقيتهم، فالمدرس هو محور العملية التربوية وأكده استبيان في مادة التاريخ جاء في سؤال أي العوامل التي تحبب إلى نفسك مادة التاريخ ؟ كانت نسبة 81.91 % هي الأستاذ، ولنا أن نتصور العكس حين يصبح مستوى الأستاذ ضعيفا، تكون نفس النسبة تنفر التلميذ من المادة خاصة في طبيعة تدريسها مقارنة مع سائر المواد الأخرى، لأنها تتطلب معرفة واسعة والماما أكبر من قبل الأستاذ.

ما يزال المؤرخ الجزائري أسير برجه العاجي حبيس كتبه وسجلاته، يمارس كتابة التاريخ وفق نمط تقليدي قائم على سرد الوقائع وجمعها في مصنفات، تظل في الغالب حبيسة الرفوف في المكتبات الجامعية ونادرا ما تقرأ، فالمتصفح للكتابة التاريخية الجزائرية سواء أكانت كتبا أو دراسات جامعية يلاحظ أن الكتابة التاريخية ما تزال حبيسة الرؤية التقليدية للتاريخ، موضوعا ومنهجا رغم الدعوات التجديدية التي تظهر من حين لأخر.

آن الأوان ليخرج المؤرخون الجزائريون من أبراجهم العاجية ويطلون على مشكلات الحاضر، كمنطلق للبحث والتفكير في الماضي بغية المساهمة الفعلية في إيجاد حلول للمشكلات التي التي يعرفها الواقع الجزائري، دعوة صريحة إلى كل المهتمين بالكتابة التاريخية في الوطن لتجاوز التاريخ السردي، والعمل على تأسيس تاريخ نقدي يبحث في المشكلات الراهنة للمجتمع اعتمادا على مقاربة علمية ونقدية، لا ترى في دراسة الماضي هدفا في حد ذاته بل مدخلا لفهم أفضل لمشكلات الحاضر وأداة لإعادة بناء علاقة جديدة مع الزمن التاريخي.